



ريو موراكامي الراحل قبل أيام: العنف في الأدب وسيلة لكشف الواقع المهمش

وُلد ريو موراكامي عام 1952 في مدينة ساسيبو بمحافظة ناغاساكي، وعاش في مراهقته تقلبات اجتماعية وثقافية شهدتها ستينيات القرن العشرين، في مدينة كانت تقع على مقربة من قاعدة بحرية أمريكية ضخمة. وفي سن الثامنة عشر، انتقل موراكامي إلى طوكيو للدراسة الجامعية، تزامناً مع احتجاجات «أنبو» (ANPO) عام 1970 المناهضة للمعاهدة الأمنية بين الولايات المتحدة واليابان، وما صاحبها من احتجاجات طلابية واسعة وحركات ثقافية مضادة للمعاهدة (counterculture) معارضة للتدخل الأمريكي والغربي في اليابان الذي تلا الحرب العالمية الثانية. ومن رحم هذا المناخ المضطرب، تبلورت رؤية موراكامي الأدبية، إذ تبنى أفكاراً تمثلت في حالة من النفور الاجتماعي الناجم عن فشل الحركات الطلابية في الستينيات في تغيير الواقع، ومعارضة لثقافة الاستهلاك اليابانية، بالإضافة إلى الإشكالية المستمرة المتمثلة في تحديد الهوية اليابانية ما بعد الحرب في ظلّ الهيمنة الثقافية والسياسية الأمريكية.

يتسم أسلوب موراكامي الأدبي بالصراحة التي قد تكون صعبة ومزعجة أحياناً، حيث يمزج بين عناصر الرعب النفسي والعنف والنقد الاجتماعي. وغالباً ما تكون شخصياته من الأفراد المهمشين في المجتمع والذين يتحركون في الزوايا المظلمة والخفية للمدن اليابانية، مرتكبين أعمال العنف والجريمة كنوع من الاحتجاج ضد واقعهم. ومن خلال كتاباته، يتحدى موراكامي الأخلاق التقليدية والأعراف الاجتماعية، مقدماً نظرة قائمة للوجود المعاصر، ولا يتردد في الخوض في موضوعات تُعد محرّمة (taboo). تأثر موراكامي بشكل جوهري بـ «سينما الاستغلال» (exploitation cinema) التي كانت تمثل السرديات السائدة في سبعينيات القرن العشرين.



تشير سينما الاستغلال اليابانية إلى موجة من الأفلام المثيرة منخفضة الميزانية التي تجاوزت حدود العنف والجنس والمحرمات الاجتماعية. تأثرت بأفلام الاستغلال الغربية والحركات الثقافية المضادة المحلية في الستينيات، غالبًا ما تجمع سينما الاستغلال اليابانية بين المحتوى الصادم والعنف مع مواضيع مشحونة سياسيًا. إن ما يميز سينما الاستغلال اليابانية عن نظيراتها العالمية هو نهجها الاستفزازي وحتى الفني في كثير من الأحيان تجاه مواضيع مثيرة للجدل، مع انتقادات للقمع السياسي والاجتماعي والنزعة الاستهلاكية في فترة ما بعد الحرب. على الرغم من طبيعتها المثيرة، تظل أفلام الاستغلال في السبعينيات فصلًا مهمًا في تاريخ السينما اليابانية. إنه فصل غالبًا ما يُنظر إليه بازدراء بسبب ابتذاله وقيمته الفنية المنخفضة مقارنة بالعصر الذهبي في الخمسينيات وحتى سينما الستينيات التجريبية. ومع ذلك، فمن خارج هذا الإرث المتطرف ولدت أعمال قيّمة مثل رواية ريو موراكامي الأولى: «أزرق يميل للاختفاء» (Kagirinaku Tōmei ni Chikai Burū | 限りなく透明に近いブルー).

كُتبت رواية «أزرق يميل للاختفاء» عندما كان موراكامي في الثالثة والعشرين من عمره فقط ونُشرت بعد عام في 1976، وقد حازت على جائزة أكوتاغاوا للأدب وهي أرقى جائزة أدبية يابانية. تدور أحداث الرواية بين طوكيو وبلدة



ربو موراكامي الراحل قبل أيام: العنف في الأدب وسيلة لكشف الواقع المهمش

عسكرية أمريكية تقع بالقرب منها، في أجواء قاتمة وخائفة. يتتبع السرد مجموعة من الشباب اليابانيين الذين ينجرفون بين تعاطي مفرط للمخدرات والجنس في صحبة جنود أمريكيون. يعكس أسلوب السرد الخام والمجزأ الارتباك النفسي للشخصيات والشعور العميق بالغربة في المجتمع الحديث. على الرغم من أنها ليست سيرة ذاتية مباشرة، إلا أن الرواية مستمدة بشكل كبير من بيئة موراكامي الشخصية. مثل بطل الرواية المسمى أيضاً «ربو»، عاش موراكامي على مقربة من قاعدة عسكرية أمريكية، وتأثر بموسيقى الروك أند رول، وكان منغمساً في دوائر الثقافة المضادة. يعبر الكتاب عن خيبة أمل أبناء جيل موراكامي تجاه النفوذ الأمريكي وإخفاء الثقافة اليابانية في مجتمع يشهد تغيرات سريعة. النتيجة هي صورة مضطربة وصريحة لجيل عالق بين التمرد والعدمية ولمجتمع لم يعد لديه سوى الانصياع بعد فشل الثورات وحركات التغيير في الستينيات.

فوضوية أوسكار وايلد

الجوانب الموضوعية والأسلوبية لسينما الاستغلال جميعها موجودة في الرواية: من العنف المتطرف غير المبرر (خاصة ضد النساء)، الاستغلال الجنسي، المدينة باعتبارها مكاناً للجنس الذي يتم تحويله لعملة - حيث يتم تبادل النساء اليابانيات مقابل المخدرات الأمريكية، موسيقى الروك أند رول، والشعور العميق بالعزلة الاجتماعية الناجمة عن الانحطاط السياسي. حتى لغة الرواية السطحية والصورية تشبه تجربة سينمائية، حيث تنتقل من لقطة سينمائية إلى أخرى، ونكاد لا نخترق الأعماق النفسية للشخصيات. يقع ربو وأصداؤه في حلقة من المخدرات والجنس يبدو أنهم غير قادرين على الهروب منها، ويختفي الواقع الداخلي في مواجهة وجود سطحي وشفاف. يوازي هذا الوجود الهشّ حالة جيل أوسع نطاقاً تتمثل في أزمة الهوية الوطنية والشخصية. لم تعد القيم اليابانية التقليدية متوافقة مع الواقع الحديث المعاصر، في حين قدم الاحتلال الأمريكي والهيمنة الثقافية نظاماً أجنبياً جديداً أصبحت الهوية اليابانية فيه غير مستقرة. يتحدث موراكامي عن هذا الشعور بالغربة في مقابلة مع مجلة «فايس» (Vice) عام 2013:

موراكامي: لدي أيضاً مشاكل مع العالم الذي أراه من حولي. في حالة الشباب المضطربين، قد يتمكن أصحاب الإبداع



من صبّ غضبهم وطاقاتهم المدمرة في الكتابة أو الموسيقى. لكن إذا لم يكن الأمر كذلك، فإنهم يميلون إلى اللجوء إلى العنف أو حتى الإرهاب. إذا جاءت الطاقة التدميرية مصحوبة بنوع من الأخلاق فإن بإمكانها أن تصبح ثورة.

تضع ملاحظات موراكامي روايته ضمن نقد اجتماعي أوسع لليابان ما بعد الحرب التي كانت عالقة بين المحو الثقافي والتحول. الشباب، كما يقول موراكامي، يتطور لديهم ميول عنيفة عندما يُحرمون من الشعور بالانتماء والاستقلال الذاتي في المجتمع. طوال مسيرته الأدبية، استكشف موراكامي العواقب الاجتماعية والنفسية لحالة الاغتراب (alienation)، من خلال شخصيات معادية للمجتمع التي تلجأ إلى العنف أو الإرهاب أو العدمية. يظهر مثال بارز على ذلك في روايته من عام 2005 «أُخْرِج من شبه الجزيرة» (Hantō o Deyo | 半島を脱出)，التي يشير فيها موراكامي إلى طائفة أوم شينريكيو (Aum Shinrikyo | 奥姆真理教) — وهي جماعة ارتكبت أشنع أعمال الإرهاب في اليابان وهو الهجوم بغاز السارين في مترو أنفاق طوكيو في عام 1995. يستحضر موراكامي الطائفة بشكل أساسي من أجل التحقيق في الظروف التي تقود الأفراد "الأبرياء" (بوصف موراكامي) إلى مثل هذا التطرف، وهي ظروف تتميز عادة بانهار الهياكل الأسرية، التهميش الاجتماعي، والإهمال العاطفي.

صاحب "في انتظار الراية" ونوبل للأدب: كوتزري يرفض حضور مهرجان في القدس بسبب الإبادة

تتجلى هذه التساؤلات أيضًا في رواية «أزرق يميل للاختفاء». يشير موراكامي في الرواية إلى الطبيعة المزدوجة للفرد الياباني، الذي كان عنيف وارهابي ومُغتصب في الحرب العالمية الثانية، والآن أصبح هو من يعْتَف ويُعْتَصَب. وبالتالي، يعيش الفرد الياباني في دائرة لا مفر منها من العنف والانحطاط في ظل واقع أصبح فارغ من أي قيم وأخلاق وصورة مستقبلية واضحة. لكن من بين مجموعة الأصدقاء في الرواية، وحده ريو ينجح في تحويل غضبه ومأساته إلى عمل إبداعي. فبالتالي، يتحول الاغتراب إلى سرد أدبي، تأكيداً على أن الفن هو بديل للعنف أو الاختفاء الكامل والتهميش داخل المجتمع. على هذه الخلفية، يقدم عمل موراكامي الأول صورة صادقة وإن كانت غير تقليدية لسيرة جيل كامل كان يعاني من فراغ داخلي وحالة من الضياع، ويابان التي تحكمها أمريكا ثقافياً وسياسياً، مانحاً لنا مرآة وانعكاس



لواقع عالمنا الحالي في 2026.

فقرة من الرواية، ترجمة راما هيب:

"في إحدى المرات، حين تعاطيت "إل-إس-دي" (LSD) في حديقة عامة، انتابني شعور يشبه تمامًا ما أشعر به الآن. رأيت أشجارًا تمتد نحو السماء وبدا لي وجود بلدة غريبة وسط تلك الأشجار، فقصدتها. في بلدة الاحلام تلك، لم يمر بي أحد وكانت الأبواب كلها موصدة، فمشيت وحدي. وحين بلغت أطراف البلدة، استوقفتني رجل نحيل للغاية وطلب مني ألا أتقدم أكثر، لكنني واصلت السير، حينها بدأ جسدي يشعر بالبرودة وظننت أنني مت. جلست نسختي الميتة بوجهها الشاحب على مقعد والتفتت نحو ذاتي الحقيقية التي كانت تراقب هذه الهلوسة على شاشة الليل. اقتربت تلك النسخة الميتة مني وكأنها تود مصافحتي، فتملكني الذعر وحاولت الفرار، لكنها طاردتني ثم أمسكت بي وتغلغلت في كياني لتسيطر علي. كان شعوري آنذاك مطابقًا تمامًا لما أشعر به الآن، إذ أحسست وكأن ثقبًا قد فُتح في رأسي ليتسرب منه وعيي وذاكراتي، وليحل مكانهما طفح جلدي مصحوبًا ببرودة تشبه برودة دجاجة مشوية فاسدة."

مقاطع من "القراءة في زمن الاضطراب" لأليبرتو مانغويل

الكاتب: راما هيب